

الجزائر في الشعر الفارسي المعاصر

(الصفحات ١٧٥ - ١٨٦)

ملخص

وحدة الدائرة الحضارية في العالم الإسلامي صيرت من البلدان الإسلامية جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. وهذه الظاهرة تتجلى أكثر كلما كان مقدار «الحياة» في جسد أمتنا أكثر. ومع كل ما أحاط بالعالم الإسلامي من محاولات تمزيق وتشتيت. فإن روح الوحدة الحضارية تتجلى فيه بدرجة وأخرى، وهذا المقال يدور حول ما تناوله الشعر الفارسي الحديث في إيران من أحداث الجزائر حينما كان هذا البلد يصارع الاستعمار الفرنسي لنيل استقلاله. فالشاعر الإيراني دافع عن ثورة الجزائر وأشاد ببطولات شعبه ومجد شهداءه وأدان البربرية الفرنسية في تعاملها مع هذا الشعب. ولم ينس المقال أن يذكر نموذجاً من عواطف الجزائريين تجاه الثورة الإسلامية في إيران.

لقد أحسن زميلنا الشاعر الأديب الأستاذ الدكتور شفيعي كدكني حين أطلق على العلاقة الأدبية التي تربط إيران بالعالم العربي اسم «الأواني المستطرقة». والأواني المستطرقة مجموعة من الأواني ترتبط مع بعضها بحيث أن كل ما

* - أستاذ في جامعة طهران.

● الجزائر في الشعر الفارسي المعاصر

يظراً على أحدها يؤثر على بقية الأواني.

وإذا نظرنا إلى هذه العلاقة بمنظار حضاري فإننا نستطيع أن نرى بوضوح مفهوم «وحدة الدائرة الحضارية» بين أقطار عالمنا الإسلامي من طنجة إلى جاكرتا. قضايا العالم الإسلامي تتفاعل معها الشعوب المسلمة بأجمعها على الرغم من محاولات إقامة السدود والحواجز الجغرافية والنفسية بين أبناء هذه المجموعة الحضارية.

نقف عند ظاهرة تفاعل الشعب الإيراني مع حركة التحرير الجزائرية من خلال بعض مقطوعات الشعراء الإيرانيين المعاصرين، أملين أن نفهم عمق الجذور الحضارية بين شعوبنا، وأن نستثمر هذا العمق للتغلب على تحديات التجزئة والتخلف والإذلال والإحباط في أمتنا.

يقول عبدعلي أديب برومند سنة ١٩٥٨م . في الدفاع عن ثورة الشعب

الجزائري:

آفرين اي الجزائر برتو و مردان تو	برتو و جانفشان مردان عالي شأن تو
گرد از دشمن برآري چون فراخيزي ز جاي	تا كه نشيند غبار ننگ، بردامان تو
خانمان و دودمان گردد نگون خصم ترا	چون شررانگيز گردد، آتش طغيان تو
افتخار از توست كاندر مكتب آزادگي	مشق جانبازي كند هر طفل ابجد خوان تو
خون دل خوردي كه زايي شرزه شيران دلير	خون از آن جوشد به جاي شيردر پستان تو
بر (جميله) صد درود از ما كه با خوي جميل	گوهري تابنده شد بر تارك نسوان تو
شاد كردي روح (عبدالقادر) از نهضت كه باد	قدرت حيّ قدير، امروزه پشتيبان تو
در پناه رايت اسلام، پيروي تراست	چون بود (نصر من الله)، زيورايوان تو
در شكفتم از «فرانس»، آن مهد آزادي كه چون	سيل خون جاري كند از راه بمباران تو
در شكفتم كز چه روان قوم آزادي پرست	می پسندد ذلت و رقيت و خذلان تو
زادبوم (انقلابيون) چرا سازد عقيم	انقلاب خلق محنت ديده ي نالان تو

● محمد علي آذرشب

من ندانم كو چه خواهد بيش از اين از جان تو
آن كه نعمت خواره شد بس ماه و سال از خوان تو
زندگي با قيد رقيت بود زندان تو

وما أعظم تضحيات رجالك الكبار!
كي تنفضي غبار العار عن ثيابك
حينما استعرت نيران ثورتك
يتعلم كل طفل أبجدية الفداء
فدرّ ثديك بالدم بدلاً من اللبن
أصبحت درّة ساطعة على جبين نساك
ولتكن قدرة الحيّ القدير لك سنناً
إذ كان شعار (نصر من الله) قد توجّ ساحتك
تسفك الدماء لتجري سيولاً جزّاء قصفك!
يرتضون لك الذلة والرقّ والخذلان!
ثورة شعبي الممتحن المتألم
ماذا يبغي منك أكثر من ذلك؟
ذلك الذي عاش على نعمتك أشهراً وسنين
إذ إن الحياة في قيود الرق لا تعدو أن تكون سجناً

وفي قصيدة أخرى يشيد عبدالعلي أديب برومند بانتصار الجزائر وتحريها يقول:

شاکرز فضل بار خداوند غافراست
خرّم روان و سرخوش و آسوده خاطر است
روز نجات مملکت الجزایر است

آن که از احسان تو پرورد، تن را سال ها
از دنائت خوان یغما کرد سامان تو را
مرگ را آسان شماری، بهر آزادی از آنک
آی:

ما أعظمك أيها الجزائر وما أعظم شعبي
لقد أزلت من عنقك النير حين نهضت،
لقد حظمت ما لخصمك من هيل وهيامان
إنه لفخر لك، إذ في مدرسة حرّيتك
لقد عانيت الكثير حين أنجبت اللبوات البطلات
ألف تحية منّا لـ «جميلة»⁽¹⁾ التي بدمها القاني
أنزلت الفرحة على روح «عبدالقادر» من هذه النهضة
تحت راية الإسلام سيكون النصر من نصيبك
عجباً أن تكون فرنسا (التي تدعي) أنها مهد الحرية
عجيباً كيف أن هؤلاء القوم الذين يعبدون الحرية
لماذا يسعى مَغْنَى (لثوريين) إلى إجهاض
هذا الذي سَمُن جسده من إحسانك لسنين
من دناءته قد نهب وسلب ما عندك
لقد استسهلت الموت من أجل الحرّية

امروز جمله ملت اسلام شاکرست
امروز هر که پیرو کیش محمدیست
امروز روز چیرگی نور بر ظلم

● الجزائر في الشعر الفارسي المعاصر

يك قوم رزم دیده پس از هفت سال واند
امروز فاتح است و به فتحش مفاخر است
راز چنین فتوح جزایمان ورشد نیست
وین برتری به صفحه دهر از مآثر است
درک شهادت از پی آزادی وطن
در الجزیره ثبت به صدر شعائر است
لعنت به روح (لشکر سري) که این پلید
در قتل جمع، آمرتنگین او امر است
زنده است (الجزایر) و خونین قیام او
کاین برترین حماسه ی نسل معاصر است
أي:

الأمة الإسلامية كلها اليوم شاكرة

شاکرة لفضل الله الغفور

أتباع الدين المحمدي بأجمعهم اليوم

فرحون مسرورون وفي رغد من العيش هانئون

اليوم يوم انتصار النور على الظلم

يوم نجاة أرض الجزائر

قوم مناضلون بعد أكثر من سبع سنين

هم اليوم فاتحون وفتحهم فخر

سرّ مثل هذه الفتوح ليس سوى الإيمان والكمال

وهذا التفوّق من مآثر صفحة الدهر

الإيمان بالشهادة من أجل حرية الوطن

قد صارت في الجزائر على صدر الشعائر

اللجنة على (الجيش السري)^(٢) هذا الخبيث

قد لبّى الأوامر في القتل الجماعي

عاشت (الجزائر) وعاشت ثورتها الدامية

فهي أسمى ملحمة في الجيل المعاصر

الشاعر «خسرو فرشيد ورد» يتغنى بأرض الجزائر ويشيد بأرواح شهدائها، ويشير إلى بطولة جميلة بوخيرد، ويذكر اندحار فرنسا أمام إرادة الشعب الجزائري. يقول:

خوشا خاك جان پرور الجزائر	خوشا مرز پر گوهر الجزائر
سلام فراوان درود پياپي	به شيران جنگ آور الجزائر
درود فراوان به روح شهيدان	که نامش بود زيور الجزائر
به خاكي که مي پروراند (جميله)	گرفتند سرتاسر الجزائر
به ياد آر آنگه که غولان رهزن	ربودند گنج و زر الجزائر
فکندند در بند آزادگان را	فتادند بر پيکر الجزائر
ولي زين ستمها برآشفت ملت	به پاخواست شيرنر الجزائر
برون آمد از آستين دست مردم	ز دهقان و برزيگر الجزائر
قيامي به پاشد به ضد پليدان	جهان گشت فرمانبر الجزائر
به نيروي ايمان و بازوي مردي	نگون خصم حيلت گر الجزائر
کنون فکر آزاد مردان گيتي	شود روشن از اخگر الجزائر
کنون شعله انقلابات عالم	جهاد جهان گستر الجزائر

أي:

ما أطيب التراب الجزائري الطافح بالحياة!

ما أطيب الأرض المليئة بالدرّ في الجزائر!

سلامًا وافرًا وتحية متواصلة

للأسود المناضلين في الجزائر

● الجزائر في الشعر الفارسي المعاصر

تحيّة وافرة لأرواح الشهداء
الذين طرّزوا اسمهم على أرض الجزائر
لأرض أنجبت « جميلة »
وأنجبت من حرّ جميع بلاد الجزائر
لنتذكّر أولئك الغزاة قطاع الطرق
الذين نهبوا الذهب من كنوز الجزائر
ألقوا الأحرار في السجون
وعبثوا في جسد الجزائر
لكن الشعب انتفض على هذا الظلم
ونفض الأسد الهصور في الجزائر
لقد شمّر الناس عن سواعدهم
من الفلاحين والمزارعين في الجزائر
لقد كانت ثورة ضد الخيلاء
فأصبح العالم خاضعاً لإرادة الجزائر
بقوة الإيمان وبسواعد الرجال
سقط الخصم المتحاييل على الجزائر
أصبح فكر الأحرار في العالم
متوهجاً من لهب الجزائر
أضحت شعلة الثورات في العالم
تتمثل في الجهاد العالمي للجزائر

« محمد جعفر إيرانيپور تويسركاني » أنشد هذه الأبيات بمناسبة استقلال الجزائر:

سلام باد برآن ملت شرافتمند كه كشته داد و شد از قيد بردگي آزاد

● محمد علي آذرشب

سلام باد برآن مردم نجیب و غیور
که کشت و کشته شد و تن به بار ننگ نداد
درود ملت هم کیش خویش بپذیرید
شما که جنبشتان فخر و سربلندی ماست
سپاس ایزد کو داد حق به حق داران
چو پشیمان حقیقت به هرامور خداست

أی:

سَلَامًا لِّذَلِكَ الشَّعْبِ الشَّرِيفِ

الذي قدم الشهداء وتحرر من القيود
سَلَامًا لِّذَلِكَ الشَّعْبِ النَجِيبِ الْغَيُورِ
الذي قاتل وقتل ولم يسلم نفسه للذل
تقبّل تحيات شعب آخ لك في الدين
أنت يا من نهضتكم فخر واعتزاز
شكرًا لله أن عاد الحق إلى ذويه
فسند الحقيقة في كل الأمور هو الله

وتحت عنوان «حمایت از مظلومان» = حماية المظلومين ينشد أيضًا الشاعر
«محمد جعفر پور تویسرکانی» قصیده یذکر فیها الخلفية الحضارية والثقافية
لفرنسا وكيف هبط هذا البلد من تلك القمة العلمية والأدبية لينزل إلى درجة
الوحوش والقتلة ومصاصي الدماء يقول:

بهر ابناء بشر در قرن بیست
عصر آزادی، بعد از بردگی ست
بس عجب باشد که در این روزگار
کشوری کز علم دارد افتخار
اصل آزادی در او شد استوار
و ندر او نام عدالت برقرار
مردمی آزاده، در خود پرورید
در جهان آزادی را آفرید
کس نمی پرسد ز احفاد هوگو
یا ز نسل مانده از ژان ژاک روسو
کین توحش کز شما آمد پدید
کی کس از چنگیز و آتیلان شنید

● الجزائر في الشعر الفارسي المعاصر

از جنایت تیره شد فرهنگتان
الجزایر رنگ فرهنگ شماست
تا بود تاریخ را نام و نشان
گر همه پاریس از خون گل شود
زین فجایع، آدمی حیرت کند
شکر لله کام آنان شد به کام
أي:

لقد نال البشر في القرن العشرين

عصر الحرية بعد الاستعباد

إنه لعجيب في هذا العصر

أن يكون بلدٌ يفخر بالعلم

وقد تأصل فيه مبدأ الحرية

وترسخ فيه اسم العدالة

ربى في أحضانه رجالاً أحراراً

ونشر الحرية في العالم

ألا يسأل أحدٌ أن أحفاد هوغو^(٣)

أو الجيل المتبقي من جان جاك روسو^(٤)

كيف يصدر عنهم هذا التوحش

بما لم يسمعه من جنكيز^(٥) وآتيلان!^(٦)

لقد لوثتم ثقافتكم بالجرائم

وقد فضحت الجزائر مخازيكم

الجزائر طُبعَت بلون ثقافتكم

وجرائمكم صارت عاراً على ثقافتكم

● محمد علي آذرشب

مادام التاريخ يكتب ويدون
ومادامت الآثار باقية في العالم
إن باريس تلتخط بالدماء
كيف يمكن أن تزول وصمة العار هذه عنكم
إن الإنسان يبقى حائرًا أمام هذه الفجائع
إن الوحوش لتتفرلدى سماعها ذلك
الشكر لله أن نال هؤلاء مرادهم
وسنتقم الطبيعة منكم
وفي قصيدة طويلة على وزن الشعر الحرّيين علي محمودي عواطفه تجاه
بطولات الجزائر تحت عنوان: «موسى وارد شب فرعونيان» = مثل موسى في ليل
الفراعة يقول:

موسي، «جميله» را من
در جاده هاي آتش و باروت يافتم
در ظلمت غليظ شبانگاهي
وقتي كه قلب مشرقين مي گفتم:
«اليس الصبح بقريب»
او را شناختم

از دست هاي او
خورشيد مي تراويد
او با «محمد عربي»
پاريس را به بيم فروبرد
والجزاير را

● الجزائر في الشعر الفارسي المعاصر

با آفتاب روشن آزادي

پيوند داد

أي:

يا موسى! أنا وجدت

جميلة في شوارع النار والبارود

في الظلام الحالك الليلي

حينما كان يقول قلب المشرقين:

«أليس الصبح بقريب»

عرفتها

من يديها

كانت الشمس تنضح

هي مع «محمد عربي»^(٧)

أغرقت باريس بالخوف

والجزائر

بشمس الحرية الساطعة

ضممتها.

* * *

وإذ ذكرنا بعض صور التفاعل الأدبي الإيراني مع ثورة التحرير الجزائرية، نذكر مقطوعة للأستاذ الجزائري الصادق سلايمية عبّر فيها عن عواطفه تجاه الثورة الإسلامية في إيران. وهي غيوض من فيض لعواطف الشعب الجزائري تجاه إخوته.

إنّا لأكبر قوة من وحدة

أغصانها والمجتنى إيران

وطني الجزائر نخلة في مهجتي

فعلى الأصول تدلك الأغصان
كم خاب من لم يعله الطيران
إن كبر الأوراس أو طهران
فمن الجزاء أرأذن الأذان
فهي العروبة موطن ولسان
في صرحها القرآن والعربان
يومًا إليه الساسة الساسان
وأشار يخبر هو ذا سلمان^أ
يجري فترقص حوله الأوزان
والفجر حقًا ما تعي الأذان
أدواته الأضواء والألوان
لخدیعة لو يفقه الظمآن
صممًا أناخوا للعيون فهانوا
فكأنها وكانهم ما كانوا
إن جئت تسمع لفك الحرمان؟
لاخترت أعمى فالهدى العميان
وسيادة الرجل الضرير بيان
فوق البيان كما روى الرحمن
خير المنازل في الدنا البرهان
لم يستطع إغواءها الشيطان
نووية سلمية إيران
رغم التباین في الرؤى إخوان
وبنورها يستأنس الإنسان
في مأمّن مما تشي الغربان

وإذا الأصول عن العيون تغيبت
اثنان دونهما العقيدة لم تطر
وهي التي فوق النجوم مقامها
وإذا بقم صلى أطهار الورى
الله أكبر قم بقم خاشعًا
وهي العقيدة والسلاح إذا التقى
لو كان بالدين الثريا لانتهى
صدق الحبيب المصطفى إذا قالها
ماذا أقول وكل بيت في دمي
ويصير فجرًا في الظلام على فم
أما العيون فقد تخادع بالذي
إن السراب بقية لبني الظما
وبنو العيون إذا حشوا أسماعهم
عاشوا القرون بغير سمع فانتها
أتى لقصرك أن يسود وأنت من
لو لم أجد إلا الأصم يقودني
كون الأصم بلا لسان دائمًا
لم يخلق الرحمن أجمل آية
شيد بسمعك قبل عينك منزلًا
وإذا تجسد في مناكب أمة
هذي أخي إيران في إيمانها
شيعية سنية كل بها
من نارها فرّ العدو وقد جثا
عقبانها ونسورها وأسودها

● الجزائر في الشعر الفارسي المعاصر

وطيورها إن غردت لبت لها
إنني أزف إليك خير تحية
وبأل أحمد والصحاب تعطرت
زُفّت يامضياء الأمير أميرة
تلك الجزائر حذو إيران إذا
فإذا المغرب مشرق ومنارة
وإذا التصهين والتأمرك خاسئ
وإذا الكنانة للرهان تجاوبت
وتبرع اليمن السعيد بروحه
إن الأكرقوة من وحدة
وشروطها أن تبتنى برجالها
فألهر كالأسد الهصور إذا اعتلى
حتى إذا قرضت قوائم عرشه

أم القرى لو أسلم الظهران
بدم الشهيد حبيتي تزدان
حتى انتشعت من عطرها الأكوان
ولها من النسب الشريف بنان
سعتا تجلى للورى الديان
وإذا المشارق في الخليج أمان
لما قلاه الأهل والجيران
لحق الرياض وساندت عمّان
للقدس إن ناداه والجولان
وبدونها تستعبد الأوطان
لا بالإماء وما يرى الغلمان
عرشاً تدير شؤونه الفئران
أهوى وضاع الملك والسلطان

الهوامش:

- ١- جميلة بوحيرد: احدى ابرز الوجوه النسائية في الثورة الجزائرية.
- ٢ - الجيش السري الفرنسي: منظمة ارهايية فرنسية أسسة سنة ١٩٦١ وهي تضم الموالين لاطروحة الجزائر الفرنسية.
- ٣ - فيكتور هوغو: (١٨٠٢ - ١٨٨٥) اكبر شعراء القرن التاسع عشر في فرنسا.
- ٤ - جان جاك روسو: (١٧١٢ - ١٧٧٨) فيلسوف سويسري كان أهم كاتب في عصر العقل في أوروبا.
- ٥ - جنكيز خان: قائد مغولي معروف في قسوته.
- ٦ - آتيل: هو آتيل الهوني ملك تركي قديم عاش ما بين (١٣٩٥ - ٤٥٣م) كان شديداً في حروبه وهاجم الامبراطورية البيزنطية وفرنسا وايطاليا وأصبح مضرب المثل في البطش.
- ٧ - محمد العربي بن مهيدي (ولد ١٩٢٣) أسطورة الثورة الجزائرية وقاهر جنرالات فرنسا المحتلين.
- ٨ - إشارة إلى الحديث الشريف: «لو كان العلم بالثريا لتناوله قوم من فارس» .